موضي البسام ودورها الحضاري والسياسي
(1270-1363هـ/1853 - 1944م)
(دراسة تاريخية حضارية)

أ.خلود محمد مساعد الشهري
طلبة ماجستير - قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

مستخلص:

تسعى هذه الدراسة لإبراز دور المرأة في نجد من الناحية الحضارية والسياسية، ووقوفها جنبا الى جنب مع الرجل أماً وأختاً وزوجةً وبنتاً، فساندته فكانت نعم الظهير له. شاركت المرأة في التاريخ الحديث مشاركة فاعلة فساهمت في بناء الدولة السعودية في أدوارها الثلاثة، ومن أشهرهن شخصية موضي البسام التي عرفت بأعمالها الخيرية، وقد عاصرت موضي احداثاً تاريخية وتقلبات سياسية، الا ان ذلك لم يزدها الا قوة وصلابة، ومن الاحداث التاريخية التي عاصرتها المحسنة موضي البسام وكان لها دورا فعالا فيها معركة الصريف والتي كانت بين حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح وجيش امير حائل عبدالعزيز بن متعب ال رشيد، والتي تلقى فيها الطرف الأول بالهزيمة مما أدى الى تفرق جنوده في بلدان القصيم ورغم ان عنيزة آنذاك كانت تابعة لحائل وبالتالي تحت سلطة ال رشيد الا ان موضي قامت بإيواء واستضافة عددا من جنود ال صباح المهزومين، كما كان لها أدوارا كثيرا حيث انها كانت تساعد الفقراء والمساكين، حتى انهم اطلقوا عليها اسم ام المساكين، وقد اعتمدت الدراسة على استخدام المنهج التاريخي القائم على جمع المعلومات وتحليلها واستخلاصها، معتمدة على الأسلوب الاستقرائي، لإبراز دور موضي البسام الحضاري والسياسي، ووصلت الباحثة الى عدد من النتائج كان من أهمها: تمتلك موضي البسام شخصية تتميز بالحكمة والعقل الراجح حيث انها مكنتها من تقديم دور بارز في العصر الحديث، فبروحها الحانية وحبها للخير استطاعت ان تحظى بتقدير من الملك عبدالعزيز بناء على ما قدمته من مساعدات خيريه، وبالرغم من تقدمها في السن الا انها استمرت في الاعمال الخيرية حتى وفاتها.

الكلمات المفتاحية: المحسنة، موضي البسام، ام المساكين، امرأة بألف رجل.

Moody Al-Bassam and its cultural and political role
(1270-1363 AH / 1853-1944 AD)
(A Historical and civilizational study)

A.Kholood Mohammed Mousad Alshehri

Abstract:

This study seeks to highlight the role of women in Najd in terms of civilization and politics, and standing side by side with the man mother, sister, wife and daughter, so I supported him and was yes to him. Women have actively participated in recent history, contributing to the building of the Saudi state in its three roles. One of the most famous of them is the personality of Moudi al-Bassam, who is known for her

charitable work, Modi has experienced historical events and political upheavals, but this has only strengthened her strength and solidity. One of the historical events witnessed by Moudi Al-Bassam and had an active role in the battle of Sarif, which was between the ruler of Kuwait Sheikh Mubarak Al-Sabah and the army of the prince of Hail Abdulaziz bin Mutaib Al-Rashid, In which the first party was defeated, which led to the dispersal of its soldiers in the Qassim countries, although Onaiza at the time belonged to Hail and therefore under the authority of Al-Rashid, but Moudi sheltered and hosted a number of soldiers of the defeated Sabah , as she had many roles where she was helping the poor and the poor, so they called her Mother of the Poor. The study relied on the use of the historical approach based on the collection, analysis and extraction of information, based on the inductive method, to highlight the role of the civilizational and political history of moudi Al-Bassam, The researcher reached a number of results, the most important of which was: Moudi Al-Bassam has a personality characterized by wisdom and a successful mind as it enabled her to provide a prominent role in the modern era, as her spirit and love of goodness was able to receive appreciation from King Abdulaziz based on what she provided of charitable assistance, and despite her age, she continued in charity until her de ath.

Keywords: Enhanced, Al Bassam, Mother of the Poor, a woman with a thousand men.

المقدمة:

برز في تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث سواءً قبل توحيد البلاد أو بعده عدداً من الرجال والنساء الذين وقفوا بجانب الملك عبد العزيز وقفة المصاول والمجاول مما جعل المؤسس يقدرهم ويشيد بوقفاتهم، وكانت بلدة عنيزة من البلدان التي أنجبت الكثير من الرجال الذين يشار إليهم بالبنان في حياتهم، وتعطر المجالس بذكراهم بعد مماتهم. ولم تقتصر بلدة عنيزة بإنجابها للرجال فقط بل أنجبت هذه البلدة عدداً ليس بالقليل من النساء اللاتي شاركن شقائقهن الرجال في المساهمة في أعمال الخير والفضيلة، ومن هؤلاء النسوة المحسنة موضي البسام، وهي من أحد الأعلام النسائية الرائدة في عنيزة، حيث ارتبط اسمها بمثل متداول في القصيم ونجد حتى يومنا هذا وهو «لي جاك ولد سمه موضي» كناية عن تفوقها على الرجال بالشجاعة والإقدام في الملمات والمبادرة إلى أعمال الغوث والبر والإحسان، علاوةً على تميزها بأعمال الخير والإنفاق، ورغم معاصرة موضي للكوارث الطبيعية التي كانت تلم بالمنطقة من جهة وأحداث جسيمة وتقلبات سياسية وحربية في المنطقة من جهة أخرى إلا أن ذلك لم يثنيها عن مد أياديها البيضاء لمجتمعها

وهبت لمساعدته في كل الظروف فكانت الملجأ لكثير من الناس، حتى صارت مثالاً يحتذى به في قوة الإرادة والصلابة وعمل الخير. وبناء على ما سبق رغبت الباحثة في ابراز دور موضي البسام الحضاري والسياسي كونها شخصية نسائية رائدة في عمل الخير، وذلك في فترة انتقالية في تاريخ المملكة بشكل عام ونجد بشكل خاص، كما ان هناك عوامل أخرى تكمن في اختيار هذا الموضوع:

1.نُدرة الدراسات العلمية التي كتبت عن سير نساء نجد في الدولة السعودية.

2.تسليط الضوء على إسهامات موضي البسام السياسية في فترة حرجة من تاريخ المنطقة.

3.رصد النشاطات الخيرية التي ساهمت فيها موضي البسام.

التمهيد:

فقد حفل تاريخنا -ولله الحمد- منذ ظهور الإسلام بعدد كبير من المتميزين من الرجال والنساء الذين منَ الله عليهم بالتحلي بالصفات الطيبة والأخلاق الكريمة والقيام بالأعمال الجليلة الخيرة التي كانت السبب في تخليد ذكراهم وتسطير مآثرهم الحميدة، كما انها حظيت المرأة على مر التاريخ بمكانة كبيرة في تاريخنا العربي والإسلامي، وكان لها دوراً بارزاً ومؤثراً في كافة جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي دونت في التاريخ، وظهر على أثرها نساء عالمات وفقهيات ومحاربات شاركن في صنع التاريخ بسيرهن العطرة على مر العصور[1].

كما انها شاركت المرأة في التاريخ الحديث مشاركة فاعله في محيطها ومجتمعها وفقاً للأوضاع التي تعيشها ويشهد لها التاريخ بذلك، فكان لها حظها ونصيبها الوافي والوافر في تاريخنا العربي والإسلامي، ففي مسيرة بناء الدولة السعودية وقفت المرأة الى جانب مجتمعها فكانت نعم السند له، كشخصية موضي بنت عبد الله بن حمد البسام التي عرفت بأعمالها الخيرة ومواقفها في سنين المسغبة والفقر والمجاعة التي شهدتها بلاد نجد في النصف الأول من القرن الرابع عشر، ووقوفها موقفاً شجاعاً في معركة الصريف والبكيرية ومخاطرتها بذلك رغم إدراكها لتبعاته يكشف لنا جانباً مهماً من شخصية موضي التي تمتعت بها، ولم تقتصر عليها فقط بل عُرفت موضي بمساندتها للمحتاجين وكانت تهب لمساعدة مجتمعها في أوقات الشدة والكوارث الطبيعية التي كانت تلم بالبلاد، وبذلك مثلت موضي البسام نموذجاً نسائياً يقتدى في فترة غير مستقرة من البلاد ومع ذلك لم تتوانىء في مساعدة ومساندة من حولها[2].

نشأة موضي البسام وحياتها:

نشأت المحسنة موضي العبد الله في عنيزة، وتوفي والدها – رحمه الله – قبل بلوغها سن التمييز وتعلمت القراءة والكتابة وحفظت بعض سور المفصل من القرآن برعاية والدتها هيا الناصر السعدي وتوجيه وإرشاد عبد الله العبد الرحمن الحمد البسام الذي تعين وكيلا على المحسنة وأختها القاصرتين بعد وفاة والدهما، ثم تزوج من أمهما، فانتقلت المحسنة وأختها إلى بيت زوج والدتهما الذي خلف أخاه محمد وبعض أبناء عمومته في عمادة أسرته منذ العقد الأخير من القرن الثالث عشر الهجري وقام - رحمه الله - بعمل الوكالة خير قيام حيث عزل الثلث الموصي به من قبل والد المحسنة، وقسم الباقي بين الورثة والعصبة، واستمر في الاشراف على نصيب زوجته وابنتيها، ومن الأمثلة على ذلك، قيامه ببيع أرض لوالد المحسنة الحمد في المسهرية[3] على رشيد البراهيم الدغيثر في عام ١٢٨٦ه/1869م[4]. وقد أعجب الوجيه عبد الله العبد

الرحمن بتربية المحسنة منذ صغرها وتفرس فيها الفطنة والحكمة وحب الخير فأشار على أكبر أبنائه عبد الرحمن بالزواج منها فاستحسن رأي أبيه ووافق على ذلك، وقد عمل عبد الرحمن بالتجارة مع والده فكان يسافر إلى الحجاز والعراق في سبيل ذلك، وقد كتب والده عبد الله في عنيزة رسالة إلى ابن عمه حمد المحمد العبد العزيز في البصرة عام 1295هـ/1878م، أشار فيها إلى إرساله عدة رسائل مع أبو شيبة، وعن طريق بغداد بواسطة العساقي، وأفاد بوصول ابنه عبد الرحمن، ومحمد إلى عنيزة، وتماثلهما للشفاء من التعب الذي ألم بهما، كما أفاد عن نية ابنه عبد الرحمن التوجه إلى الحجاز الشهر القادم بصحبة محمد السليمان للتجارة[5].

نسب موضي البسام وولادتها:

هي موضي بنت عبدالله بن حمد بن عبد القادر بن حمد البسام من الوهبة من تميم، ولدت في عنيزة1270هـ/1853م[6]، وتنتمي إلى اسرة عريقة ينتهي نسبها إلى آل وهبة من قبيلة تميم، وكانت بلدة أشيقر الموطن الأول لأسرتها، ثم انتقل جد الأسرة من تلك البلدة إلى ملهم ثم إلى حرمة، ثم استقرت الأسرة في مدينة عنيزة سنة 1175هـ/ ١٧٦١م، وأصبحت البلدة الأخيرة موطنا لآل بسام[7]. وقد اشتهر عدد من أفراد أسرة البسام في عنيزة بالتجارة، وأصبحوا على درجة من الغنى والثروة، ومن بين هؤلاء والد موضي: عبدالله بن حمد العبد القادر البسام، الذي فقدته وهي صغيرة السن، فعاشت يتيمة، وكانت وحيدته، جنت قسطاً من التعليم فحفظت شيئاً من القرآن، وتعلمت القراءة وبعض العلوم الشرعية، تزوجت من عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن البسام وكان يعمل في التجارة مع والده، وتوفي زوجها في عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، فعكفت على تربية أبنائها، وسعت إلى تنشئتهم تنشئة صالحة، وبعد سنوات فقدت موضي أبنائها وبناتها، وعاصرت موضي العبدالله أحداثاً جسيمة وتقلبات سياسية وحربية في المنطقة كانت فيها موضي مضرب المثل في قوة الإرادة والصلابة وعمل الخير بغض النظر عما يمكن أن يصيبها بسببه[8]، ومن المؤكد أن توالي هذه الأحداث المؤثرة جعلها تنصرف بشكل كبير إلى عمل الخير وهو أمر اشتهرت به، كما تكشف هذه الأحداث عن قوة شخصيتها وصلابة إرادتها وعن إيمانها بالله عز وجل[9].

زواجها:

أما بالنسبة لزواجها فقد تم الزواج في العقد الأخير من القرن الثالث عشر، ورزقت المحسنة بابنين وأربع بنات فأما الابنان فهما حمد وكانت ولادته في عام 1312هـ/1894م، وتوفي -رحمه الله- عام 1337هـ/1918م، والابن الآخر هو إبراهيم وقد ولد في عام 1314هـ/1896م، وتوفي -رحمه الله- عام ١٣٩٨هـ/1977م، وله من الأبناء عبد الرحمن وحمد وكل منهما رزق بأولاد بارك الله فيهما وفي عقبهما، وأما البنات فهن:

1. نوره ولها ولد وبنت
2. حصة ولها ثلاث بنات
3. مضاوي ولها ثلاثة أولاد وبنت.
4. لولوه ولها بنتان تزوجت احداهن من الملك سعود-رحمه الله- وقد توفي حمد واخواته الاربع في حياة والدتهم وكانت وفاة حصة ولولوه في يوم واحد من سنة 1337هـ/1918م، المعروفة بسنة الرحمة[10].وكما ذكرنا سابقا عندما توفي زوجها، ونال أولادها ما نالوه من اليتم فقامت

على تربيتهم، وتوفوا جميعاً في حياتها باستثناء إبراهيم فقامت بتربيته وتربية أبناء بناتها والعطف عليهم إلا أن عطفها وحنانها وكرمها لم يقتصر على ذريتها فقط بل تجاوز ذلك إلى الآخرين الذين كانوا بأمس الحاجة إلى مثل هذا الكرم والعطف بسبب ما يمر به الناس من ظروف اقتصادية وأمنية صعبة في النصف الأول من القرن الرابع عشر[11].

ومن أعمالها ومآثرها الحميدة:

كانت المحسنة على قدر كبير من اليسار فقد اختصت بثلث تركة والدها الذي كان صاحب محل تجاري في جدة، وله عقارات ومعاملات تجارية في عنيزة[12].

واشارة لماسبق فقد اتضح ان المحسنة كان لديها المال الوفير الذي تركه له والدها والذي ساعدها على ان تقوم بكل هذه الأعمال والمساعدات الخيرية.

أما بالنسبة لسماتها الشخصية فقد اتسمت بعدة صفات ومنها:

الحكمة:

عرفت موضي البسام بالحكمة والعقل الراجح والفكر الصائب منذ نعومة أظفارها، فبعد وفاة والدها عين ابن عمه عبد الله بن عبد الرحمن البسام وكيلاً عليها وعلى أختها، وقد أعجب عمها عبد الله بتربيتها الحسنة، ووجد فيها الفطنة والحكمة وحب الخير، فاختارها زوجة لابنه عبد الرحمن[13].

التدين:

كانت موضي البسام كذلك تتصف بالدين والورع، فاشتهرت بأعمال الخير والبر والإحسان والعطف على الفقراء، كما انها كانت من اعمالها الخرية تقوم بتجهيز الموتى وتستأجر من يغسلهم وتتكفل بما يحتاجونه من الكفن وحفر القبر، وجميع ما يحتاجه أهل الميت، ومن أعمالها الخيرية أيضا كانت في شهر رمضان تقوم بتجهيز مصلى الرجال بالبخور، وكانت توزع كثيرا من الصدقات والمؤن قبل الإفطار على الفقراء والمساكين[14].

الصبر:

ابتليت موضي بفقد زوجها الذي لم يعمر -رحمه الله-، فصبرت على ذلك واحتسبت اجرها عند الله، وتفرغت لتربية أولادها وتنشئتهم خير تنشئة، لقد كان الصبر السمة البارزة في حياتها[15]، وزاد ابتلاؤها ففقدت أكبر أبنائها حمد، ثم فقدت بناتها الأربع، ولقوة إيمانها بالله عز وجل صبرت واحتسبت مصابها عند الله تعالى وبلغ هول مصابها أن ابنتيها حصة ولولوة قد ماتتا في يوم واحد عام 1337هـ/ 1918م، بسبب وباء الكوليرا [16]الذي اجتاح نجدا في تلك السنة، ثم ماتت ابنتيها نوره ومضاوي بعد مدة، فكانت صابره ومحتسبه، تدخر اجرها و ثوابها عند الله[17]. ومن الجدير بالذكر ان المحسنة موضي تعرضت لمصائب كثيرة فكانت صابره ومحتسبة أجرها عند الله فالصبر فضيلة عظيمة تميز بها الأنبياء والصديقون، فهذه المصائب لم تجعلها تيأس بل العكس زادت قوتها وايمانها بالله.

العلم:

غلب على التعليم في نجد طابع البساطة، والاتجاه نحو تعلم العلوم الدينية والاهتمام بالتعاليم والمبادئ السلفية، كما كان نظام الكتاتيب منتشرا في نجد، وكانت القراءة والكتابة وقواعد الإملاء والحساب

هي أهم المواد التي يتعلمها الأولاد الذكور، وكان للنساء أو البنات كتاتيبهن الخاصة بهن، فهن يحضرن عند المعلمة، ويتعلمن قراءة القرآن وأحكام الدين، والكتابة، وبعض مبادئ الحساب، ولقد كان تعلم القراءة والكتابة وأحكام الفقه وحفظ القرآن هي أهم مواد التعليم اللازمة للمرأة في ذلك الوقت[18].

خصوصا إذا ما علمنا أنها هي المواد نفسها المتوافرة للرجال آنذاك، ولم يكن متيسرا للمرأة الارتحال لطلب العلم إلى حواضر العلم المتوافرة للرجال آنذاك، وأيضا لم يكن لها متيسرا الارتحال إلى حواضر العلم ومراكزه المجاورة لنجد في الحجاز والشام والعراق، ولقد كانت بعض الأسر تستعين ببعض النساء المتعلمات ليدرسن بناتهن القرآن ومبادئ القراءة والكتابة، وسعت هيا بنت ناصر السعدي والدة موضي البسام إلى تعليمها وهي صغيرة، فعلمتها القراءة والكتابة، كما حفظت موضي القرآن الكريم برعاية والدتها، وقد استفادت موضي كذلك من قرب منزل أهلها من جامع عنيزة فكانت تسمع المواعظ والأحكام الشرعية من فقهاء هذا الجامع وعلمائه[19]. واشارة لما سبق انه وقتذاك لم تكن تتوفر في عنيزة مدارس نظامية، ومع ذلك لم يمنع موضي من التعليم، ومن الالتحاق بالكتاتيب التقليدية المتاحة لتحفظ القرآن الكريم وتنال قسطاً من العلوم الشرعية ومبادئ القراءة تحت رعاية والدتها وعمها، وهذا يدل على حرصها وحبها للعلم.

إسهامات موضي البسام الإنسانية:

وما تقدم من حديث عن والد المحسـنة ووالدتها وزوجها وأعمالهم تجارية يتضح المستوى الاقتصادي الجيد للمحسنة وأبنائها، وقد قامت بتنمية مالها حسب استطاعتها وبالتوجيه والإشراف من الوكيل عليها في صغرها وابنه عبد الرحمن بعد زواجها منه كما قامت بتنمية مال أولادها بعد وفاة والدهم، وكانت تنفق عليهم من مالهم، أما مالها الخاص فكانت تنفق منه على مشروعات البر والخير ومساعدة المحتاجين حيث قامت بأعمال خيرة كثيرة خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر[20].

ويمكن تقسيم هذه الأعمال إلى قسمين:

القسم الأول: أعمال يومية وهي توزيع كمية من التمر والبر على المحتاجين، وأنفقت في ذلك الأموال الطائلة، وكانت تتولى الإشراف بنفسها على ذلك وتتابع الخدم في توزيع الاطعمة على البيوت، وكانت وترافق النساء الموكلات بتنفيذ ذلك، كما كانت تتقصي وتسأل عن الأسر المحتاجة والأشد حاجة لتقديمها على غيرها، وتحديد الكمية التي تعطي لها لأن أغلب الناس في أكثر سنوات تلك الفترة كانوا في حاجة إلى المساعدة والمتوفر لديها من التمر والبر لا يكفي الجميع، وهذا القسم أعماله روتينية يومية ولا يحتاج إلى الوقوف عنده[21].

اما القسم الثاني: ويتضمن الحديث عن الأعمال التي قامت بها المحسنة، في مساعدة أهل بلدتها ومن حولهم في ظروف الشدة التي ألمت بسبب الحروب، أو زيادة الأمطار، أو الجوع، أو انتشار الأوبئة، وسنتحدث عن أهم هذه الأعمال لاحقا[22].

أعمال موضي البسام الخيرية:

في عام 1322هـ/1904م، نزلت امطار غزيرة على عنيزة، ونتج عنها تهدم العديد من البيوت وتضرر الكثير منها، فقامت المحسنة على قدر استطاعتها بمساعدة من تضرروا، وكان عايد الصقيري حامل بيرق عنيزة ممن تهدم بيته بسبب هذه الأمطار، واحتاج إلى خشب الأثل وجريد النخل لإصلاح بيته وطلب ذلك من

أصحابه وكبار أهل البلد فاعتذروا منه، وأشار عليه بعضهم بطلب ذلك من العمه موضي وهي المحسنة، فأجاب بعدم استطاعته ذلك بسبب مشاركته في نهب بعض بيوت أسرتها في يوم السطوة، فرد عليه صاحبه بأن العمة صاحبة خلق فاضل ولن تمتنع عن مساعدتك بسبب ذلك، فقد ذهب الصقيري إلى المحسنة على استحياء شديد، وشرح لها حاجته فأجابته إلى طلبه وحولته إلى مزرعتها[23]، ليأخذ كامل حاجته من خشب الأثل وجريد النخل ، ففرح الصقيري وصار يدعو لها ويثني عليها في المجالس، وسأله أحدهم في مجلس الأمير هل قضيت لازمك من الخشب والجريد فقال نعم فسأله من ساعدك في هذا فقال: (إذا جاك ولد سمه موضي)، وفي إحدى زيارات الملك عبد العزيز رغب أحدهم في التندر وإحراجه فسأله قائلا إذا جاك ولد ماذا تسميه، وهمس بعض الحاضرين قل عبد العزيز إلا أن الصقيري كرر إجابته السابقة فضحك الملك ويروي أنه قال (تستاهل بنت عبد الله والنعم بها وليت النساء مثلها)[24]. وعلى ضوء ما سبق ترى الباحثة ان هذه القصة توضح لنا حسن خلق المحسنة وأنها لم ترد الإساءة بمثلها، حتى انها ساعدت الشخص المشار اليه في القصة الذي اساء لها ونهب بعض بيوت اسرتها، حتى ان هذه الحادثة لم يكن مر عليها وقت طويل فيوم الاعتداء كان الخامس من محرم، وبداية نزول الأمطار الغزيرة كان في اليوم الثالث عشر من الشهر نفسه، ومع ذلك لم تتوقف عن مساعدته.

مساعدة المحتاجين:

في عام 1327هـ/1914م، أصاب الناس مسغبة شديدة، وعرفت تلك السنة بسنة الجوع، ولا شك أن اقتصاد البلاد في ذلك الزمن كان ضعيفا إلا أن الجوع الذي حصل للناس ليس سببه الأساسي شدة المؤونة، بل إن الناس أصبحوا يحتاجون لكميات من الطعام أكثر من القدر المعتاد، واشتدت المسغبة بالناس حتى أكلوا العظام والنوى والأعشاب والميتة في حالات نادرة، ومما لاشك فيه انه كان للمحسنة دور كبير في مساعدة المحتاجين فقامت جواريها بتوزيع كميات التمر المتوفرة عندها، وبعد نفادها اشترت كميات اخرى، واستأجرت عددا من النساء، ووكلت إليهن مهمة توزيعه على بيوت المحتاجين مع قيامها بمساعدتهن والإشراف الكامل على عمليات التوزيع ساعدة[25]. وفي عام 1337هـ/1923م، أصيب الناس بنوع من انواع الأوبئه وهو مايسمى بمرض الكوليرا، وعرفت هذه السنة بسنة الرحمة، نتيجة لكثرة الوفيات فيها بسبب هذا المرض، وقد توفي في عنيزة وحدها ما يقارب الالف من الرجال والنساء، وكان قسم من هؤلاء الموتى يعول أطفالا وأيتاما وكبارا في السن فكان هؤلاء بحاجة ماسة إلى المساعدة، وهنا يأتي دور المحسنة فقامت بمثل ما قامت به قبل عشر سنوات من توزيع الطعام – وفي مقدمته التمر – على المحتاجين[26]. ولم يقتصر عملها في هذه السنة الشديدة على الناس على توزيع الطعام فقامت بمهمة أخرى وهي تجهيز الموتى كما ذكرنا سابقاً، وأجرة المغسل والمغسلة والميت يحتاج إلى الكفن وإلى حفر القبر، وهذه كانت تثقل على الكثيرين خاصة من فقدوا عائلهم الوحيد الذي كان يعمل ليجد قوته وقوت عياله ليوم واحد فكان للمحسنة، دور كبير في المساعدة في عملية تجهيز الموتى فكانت ترسل إلى ذويهم بالأكفان ومستلزمات التجهيز، وأجرة حفر القبر[27]. ومن أعمال البر التي كانت تقوم بها المحسنة عتق الرقاب، ومن الأمثلة على ذلك عتقها لجاريتها مبروكة وكانت المحسنة-وهي العارفة بأحوال الناس وحاجتهم - تعلم صعوبة عتق الرقيق وخاصة الأنثى وتركها بدون منزل تقيم فيه ولذلك فإن المحسنة أعتقت هذه الجارية واشترت لها بيتا بخمسين ريالا لتقيم فيه

وليكون دافعا ومشجعاً على الزواج منها، وبعد فترة من الزمن قامت مبروكة بتوقيف البيت والوصية بصرف ريعه بأعمال البر ووكلت عمتها المحسنة في تنفيذ ذلك[28]. وكانت المحسنة تعامل جواريها المملوكات معاملة طيبة وتزوج من يرغب منهن في ذلك، وتتابع من تعفف منهن، ومما يذكر في هذا المجال أن إحداهن سافر عنها زوجها إلى البحرين وطال سفره، وانقطعت أخباره عن زوجته، وكانت المحسنة تتألم لوضعها وتحاول التخفيف عنها وجبر خاطرها ومن أساليبها في ذلك، شراؤها الهدايا المتنوعة بين فترة وأخرى وإرسالها إلى زوجته باعتبارها هدية من زوجها فكان ذلك أسلوبا ناجحا في إدخال السرور والفرح عليها، وزيادة أملها في قرب رجوع زوجها [29].

مشاركة موضي البسام في الحياة السياسية:

ومما ذكر في سيرتها أنها عاصرت أحداثاً جساماً وتقلبات سياسية ومعارك حربية تاريخية، فلم يزدها ذلك إلا قوة وصلابة وعزيمة واستمراراً في أعمال البر والإحسان، حتى صارت مضرباً للأمثال ووصلت شهرتها إلى قادة وملوك وأمراء عصرها، بدليل أن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراه توفي عام 1372هـ/1953م، كان حريصا على زيارتها للسلام عليها كلما مرّ بعنيزة، بل كان ينعتها بـ«العمة موضي» احتراماً وتقديراً لها[30].

كان الملك عبد العزيز – رحمه الله – يقدر للمحسنة أعمالها الجليلة، ويدعو لها وقد كتب لها ولابنها إبراهيم في عدد من المناسبات، كما كان الملك ووالده الأمير عبد الرحمن – رحمهما الله– يقدران جدا أولاد المحسنة وأسرتها منذ دخول الإمام عبد العزيز إلى عنيزة في عام ١٣٢٢هـ/1904م، فقد كتب الإمام عبد الرحمن الفيصل خطابا إلى محمد بن جاسر البجادي في شقراء، يطلب فيه مساعدة عبدالله العبد الرحمن البسام وحمولته في أي لازم لهم ويطلب منه عدم التوقف او المحاذرة في إجابة طلبهم[31].

دور موضي البسام في معركة الصريف والبكيرية:

في عام 1318هـ/1901م، حدثت موقعة الصريف[32]، بين جيش حاكم الكويت السابع الشيخ مبارك بن صباح الصباح الملقب بمبارك الكبير توفي عام 1333هـ/1915م، وجيش أمير حائل عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله آل رشيد توفي عام 1323هـ/1906م، وقد انتهت هذه الموقعة بانتصار ابن رشيد، ومبالغته وقسوته – عفا الله عنا وعنه – في ملاحقة ومعاقبة، المنهزمين من أتباع ابن صباح وقد وصل بعض هؤلاء المنهزمين إلى عنيزة وعلى الرغم من أن عنيزة كانت -آنذاك- تابعة لحائل وبالتالي تحت سلطة آل رشيد، إلا أن موضي قامت باستضافة وإيواء نحو 400 من جنود آل صباح المهزومين سرا[33]، فساعدتهم المحسنة، حيث استضافتهم في بيوت خاصة بها وببعض أفراد أسرتها، وأمدتهم بما يحتاجون إليه من طعام وشراب وبعد أن خف الطلب عنهم أخذت في إعادتهم إلى الكويت بعد أن أعدت لهم الرواحل، ورأت أن يكون رحيلهم على دفعات ومجموعات صغيرة ليكون ذلك أبعد عن لفت الانتباه إليهم، ومن المشهورين الذين استضافتهم المحسنة شاعر الصباح محمد الحميدة الذي خرج من بريده بعد أن أخبر بأن رجال أبن رشيد يبحثون عنه واتجه إلى عنيزة للجوء عند أحد أبناء عمومته المقيمين فيها، وقد رحب به ابن عمه إلا أنه أخبره بأن بيته ليس المكان الأفضل لإقامته لأن رجال ابن رشيد سيفتشون عنه في بريدة وإذا لم يجدوه فسيتوقعون لجوئه إلى بعض أقاربه في عنيزة أو غيرها، وأخبره بأن المكان الأفضل والأمن هو اللجوء إلى المحسنة، فاقتنع بذلك وانتقل إلى أحد البيوت المعدة لاستقبال أمثاله، وحدث ما توقعه ابن عمه فقد بحث عنه رجال أبن رشيد في

بريدة فلما لم يجدوه هناك بحثوا عنه عند ابن عمه في عنيزة فلم يجدوه أيضا، وبعد أن هدأ الطلب عنه رغب في السفر إلى الكويت فجهزته المحسنة ببعير وسلاح وما يحتاج إليه من مؤونة، وأوصت عليه رجال الحدرة[34] الذين سافر معهم إلى الكويت. وفي عام 1322هـ /1904م، حدث فيه حادثه كان للمحسنة دور في مساعدة من أصيبوا بها وهي: موقعة البكيرية[35] بين الإمام عبد العزيز بن سعود وأتباعه من أهل الرياض و الوشم و سدير والقصيم من جهة وبين الأمير عبد العزيز المتعب ومن معه من أهل حائل وعساكر الترك من جهة أخرى ، وقد قسم الإمام عبد العزيز بن سعود جيشه إلى ثلاثة أقسام حيث كان هو ومن معه من أهل الرياض وسدير والوشم في الجناح الأيمن، وفي الجناح الأيسر كان أهل بريدة وبلدان القصيم وبعض البادية، أما قلب الجيش فكان فيه أهل عنيزة ومعهم قسم من عتيبة، وقد ركز ابن رشيد في هجومه على الجناح الأيمن، وقتل من أهل الرياض حوالي ستمائة وخمسين رجلا، والتجأ قسم من الباقين من السالمين والمصابين إلى عنيزة حيث كان للمحسنة دور كبير في مساعدتهم وتوفير سبل الراحة لهم وعلاج المصابين منهم إلى أن تهيأت الظروف لعودتهم إلى بلدانهم [36]. وبذلك مثلت شخصية موضي البسام الشجاعة والجرأة والإقدام فكانت تهب لمساعدة جميع المحتاجين دون التفكير بتبعات ما قد يعود عليها من جراء هذه المساعدة وخاصة في مساعدتها لفلول المنهزمين في المعارك فرغم علمها ببطش ابن رشيد إلا انها سارعت بإيواء المنهزمين وترحيلهم الى الكويت ولم تخشى تبعات هذا الأمر عليها وهذا يؤكد ما تتمتع به شخصية المرأة النجدية من شجاعة في ذلك الوقت.

تقدير الملك عبد العزيز لموضي البسام:

كان الملك عبد العزيز – رحمه الله – يقدر للمحسنة أعمالها الجليلة، ويدعو لها وقد كتب لها ولابنها إبراهيم في عدد من المناسبات، كما كان الملك ووالده الأمير عبد الرحمن -رحمهم الله- يقدران جدا أولاد المحسنة وأسرتها منذ دخول الإمام عبد العزيز إلى عنيزة في عام 1322هـ/ 1904م، فقد كتب الإمام عبد الرحمن الفيصل في التاسع عشر من صفر عام 1322هـ/1904م، خطابا إلى محمد بن جاسر البجادي في شقراء[37]، يطلب فيه مساعدة عبدالله العبد الرحمن البسام وحمولته في أي لازم لهم ويطلب منه عدم التوقف او المحاذرة في إجابة طلبهم[38].

كتب الملك عبدالعزيز خطابا عاما في 1335هـ/1917م، قال فيه بأن اولاد عبدالله العبدالرحمن البسام وحمولتهم طوارف لنا ومن اعز طوارفنا، وفي عام 1355هـ/1937م،كتبت المحسنة وابنها ابراهيم رسالة الى الملك عبدالعزيز في زيارته القصيم يدعوانه الى تشريفهما على العشاء، فكتب لهما الملك بالاعتذار عن اجابة الدعوة في زيارته هذه، ووعدها بالإجابة في الزيارة القادمة،كما انها كتبت المحسنة الى الملك عبدالعزيز تعزية بوفاة ابنته منيرة، فأجابها برسالة مؤرخة في الرابع من رجب عام 1358هـ/1940م[39]. وتستنتج الباحثة بناء على ماسبق مكانة المحسنة موضي البسام عند الملك عبدالعزيز وتقديره لها، بدليل أن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود كان حريصا على زيارتها للسلام عليها كلما مرّ بعنيزة.

وفاة موضي البسام:

ورغم تقدمها في السن، إلا أن موضي استمرت في رعاية المحتاجين والفقراء، وتوجيه من تحت يدها إلى ذلك، وقد أقر الله عينيها بعد بلوغها الثمانين عاما برؤية أبني ابنها إبراهيم وهما عبد الرحمن وحمد

بارك الله فيهما وفي عقبهما، وبعد عمر مديد زاد على التسعين عاما انتقلت المحسنة إلى جوار ربها في شهر ذي القعدة من عام 1363هـ/1944م، وكتب الأمير سعود بن عبد العزيز إلى ابنها إبراهيم خطابا في الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة يعزيه فيها بوفاة والدته[40]. وبناء على ما سبق تستنتج الباحثة أن تقدير الملك عبد العزيز للمحسنة لم يقتصر على تقدير ذويها من أسرتها من بعده ونهج أبناء المؤسس على نهج أبيهم لإدراكهم بمدى إسهامات المحسنة وما قدمته من خدمات جلية لخدمة مجتمعها ومنطقتها على حد سواء.

كما أن و أعمال البر والخير التي كانت تقوم بها في حياتها مازالت -ولله الحمد- مستمرة بتنفيذ وصيتها التي طلبت فيها تنفيذ عدد من مشاريع الخير والإحسان ومنها تسبيل ثلاثة قدور كبيرة للانتفاع بها من المحتاجين إليها، وأوصت بعدد من الأضاحي، وعشا في جمع رمضان، وقربة ماء تخرج كل سنة في الفصول التي يحتاج الناس إليها ، كما أوصت بعتق عدد من جواريها، من ثلثها[41].

وبعد اتمام الدراسة – بفضل الله وتوفيقه- توصلت الباحثة الى عدة نتائج:

- تأتي شهرة السيدة موضي العبد الله البسام من تميزها على مستوى البلد بأعمال الخير والإنفاق دون أن تخشى الفقر، ولعل لما أصابها من فواجع بفقد المقربين لها دافع للإنصراف إلى هذا المجال بشكل ملفت للنظر بحيث يترحم عليها ويدعو لها بسببه القاصي والداني .
- عاصرت موضي العبد الله أحداثاً جساماً وتقلبات سياسية وحربية في المنطقة كانت فيها موضي مضرب المثل في قوة الإرادة والصلابة وعمل الخير بغض النظر عما يمكن أن يصيبها بسببه.
- كما أن موضي العبد الله أحسنت إلى من أساء إليها وإلى أسرتها في مواقف معروفة.
- وموضي البسام هي المعنية بالمثل المشهور : (إذا جاك ولد سمه موضي)، لما قامت به من أعمال ومساعدات عرفها القريب والبعيد حيث استحقت هذا اللقب.
- لسيرتها العطرة وأعمالها الجليلة التي عرفها القريب والبعيد حيت استحقت أن تكون مضرب المثل.
- كان الملك عبدالعزيز آل سعود حريصا على السلام على موضي البسام كلما زار عنيزة، وينعتها بالعمة احتراماً وتقديراً لها كما حرص أبناء المؤسس على تقدير أسرتها وذويها من بعدها.
- كان الملك عبدالعزيز – رحمه الله – يقدر للمحسنة أعمالها الجليلة، ويدعو لها، وقد كتب لها ولابنها إبراهيم في عدد من المناسبات.
- استمرت المحسنة رغم تقدم سنها في العمل على مساعدة المحتاجين.

الهوامش:

(1) البسام: احمد عبد العزيز، المحسنة موضي العبد الله البسام، ط1، الرياض، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، 1435هـ/2014م، ص6.

(2) الحربي: دلال مخلد، المرأة في نجد وضعها ودورها (1351-1200هـ/1782-1932م)، دارة الملك عبد العزيز،1432هـ/2011م، ص13. انظر، البسام، المحسنة، ص7-6.

(3) أحد احياء مدينة عنيزة.

(4) البسام: أحمد، المحسنة، ص91.

(5) البسام: أحمد، المحسنة، ص93-92.

(6) الغيث: منى بنت محمد فهد، أثر المرأة في بناء المملكة العربية السعودية في مرحلة التأسيس، الأميرة نورة بنت عبدالرحمن والوجيهة موضي بنت عبد الله البسام، مج1، جامعة القصيم، مجلة العلوم العربية والإنسانية، 1436هـ/2015م، ص5.

(7) الغيث: منى، أثر المرأة في بناء المملكة العربية السعودية، ص5.

(8) جريدة الرياض: ذكرتني الماضي، 12 أبريل 2019، على موقع واي باك مشين.

(9) الحربي: دلال مخلد، نساء شهيرات من نجد، ط1، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ/1999م، ص130-129.

(10) البسام: المحسنة، ص94.

(11) البسام: المحسنة، ص95.

(12) البسام: المحسنة موضي، ص95. القشعمي: محمد عبد الرزاق، أم المساكين موضي البسام (1270 - 1363هـ)، جريدة الجزيرة، 15ربيع الاول 1437هـ/ 26 ديسمبر 2015.

(13) الغيث: أثر المرأة في بناء المملكة العربية السعودية، ص9.

(14) أمين: عبد الحفيظ محمد، امرأة من عمق التاريخ النجدي، صحيفة المدينة، العدد 14613، السنة التاسعة والستون، 1424هـ/ابريل 2003م، ص21.

(15) العبد المحسن: إبراهيم بن عبيد، تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، ط1، مؤسسة النور، الرياض، ص321-318.

(16) اجتاحت الإنفلونزا نجد لمدة ثلاثة أشهر سنة1338ه/1919م، وتسمى تلك الأشهر «سنة الرحمة» لكثرة الأموات فيها.

(17) الغيث: أثر المرأة في بناء المملكة العربية السعودية، ص11.

(18) الغيث: أثر المرأة في بناء المملكة العربية السعودية، ص6.

(19) الغيث: منى بنت محمد فهد، أثر المرأة في بناء المملكة العربية السعودية، ص14.

(20) البسام: المحسنة، ص147.

(21) البسام: المحسنة، ص148.

(22) البسام: عبد الله بن عبد الرحمن، خزانة التواريخ النجدية، ط1، مج3، الشاملة الذهبية، 1419هـ/1998م، ص59-58.

(23) كان لديها مزرعة في شمال عنيزة تسمى (السفيلي)، انظر، البسام، المحسنة، ص154.

(24) البسام: المحسنة، ص150-149. المدني: عبدالله، امرأة بألف رجل، البحرين،1442هـ/2020م.

(25) البسام: المحسنة، ص 155-154.

(26) البسام: المحسنة، ص156.

(27) القشعمي: محمد عبد الرزاق، أم المساكين موضي البسام (1270 - 1363هـ)، جريدة الجزيرة، 15ربيع الاول 1437هـ/26 ديسمبر 2015.

(28) البسام: المحسنة، ص157.

(29) البسام: المحسنة، ص158.

(30) المدني: عبد الله، موضي البسام امرأة بألف رجل، صحيفة عكاظ، الاحد 27 سبتمبر.

(31) البسام: المحسنة، ص157.

(32) جرت هذه الموقعة في اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة من عام 1318هـ عن أحداثها انظر عبد الله بن محمد البسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، شركة المختلف، الكويت 2000 م، ص 284-283.

(33) وتقع الصريف أو الطرفية – كما يسميها بعض المؤرخين - في الشمال الشرقي من بريدة بحوالي سبعة وعشرين كيلو.

(34) المدني: امرأة بألف رجل، صحيفة عكاظ.

(35) المقصود بالحدرة القافلة المتجهة الى الخليج فأهل القصيم يقولون لمن يتجه الى الشرق منحدرا ولمن يتجه الى الحجاز مسندا الارتفاع نجد بالنسبة للخليج وانخفاضها بالنسبة لعاليتها القريبة من الحجاز، ثم غلب لفظ حدرة وأصبح الكثيرون يطلقونها على كل القوافل المسافرة لأي جهة.

(36) البكيرية: بلدة بالقصيم، حدثت قريبا منها معركة بين الملك عبدالعزيز والأمير عبدالعزيز بن متعب الرشيد. انظر الزركلي: خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج1، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1405هـ/1977م، ص153-152.

(37) البسام: المحسنة، ص152-148.

(38) تعتبر مدينة شقراء من أقدم المدن في المملكة العربية السعودية، فهي أقدم المدن في اقليم الوشم في نجد.

(39) البسام: المحسنة، ص 158.

(40) البسام: المحسنة، ص160.

(41) البسام: المحسنة، ص 161.

(42) المدني: موضي البسام امرأة بألف رجل، صحيفة عكاظ.

المصادر و المراجع:

(1) البسام: أحمد عبدالعزيز، المحسنة موضي العبد الله البسام، ط1، الرياض، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، 1435هـ/2014م.

(2) البسام: عبدالله عبدالرحمن، خزانة التواريخ النجدية، ط1، مج3، الشاملة الذهبية، 1419ه/1957م.

(3) البسام: عبدالله محمد، تحفة المشتاق في اخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق إبراهيم الخالدي، ط1، شركة المختلف للنشر والتوزيع، الكويت، 1421هـ/2000م.

(4) الحربي: دلال مخلد، نساء شهيرات من نجد، الرياض، ط1، مكتبة الدار المئوية، دارة الملك عبد العزيز،1419هـ/1957م.

(5) الحربي: دلال مخلد، المرأة في نجد وضعها ودورها (1351-1200هـ/1782-1932م)، دارة الملك عبد العزيز،1432هـ2011م.

(6) الغيث: منى بنت محمد فهد، أثر المرأة في بناء المملكة العربية السعودية في مرحلة التأسيس، الأميرة نورة بنت عبد الرحمن والوجيهة موضي بنت عبد الله البسام نموذجاً، القصيم، مجلة العلوم العربية والإنسانية، مج8، ع4، 1436هـ/2015م.

(7) الزركلي: خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج1، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1405هـ/1977م.

(8) العبد المحسن: إبراهيم بن عبيد، تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، ط1، مؤسسة النور، الرياض.

المقالات العربية:

(1) أمين: عبد الحفيظ محمد، امرأة من عمق التاريخ النجدي، صحيفة المدينة، العدد 14613، السنة التاسعة والستون، 1424هـ/ 2003م.

(2) القشعمي: محمد عبد الرزاق، ام المساكين موضي البسام (1270م/1336هـ)، الجزيرة السعودية، عدد484، 1437هـ/2015م.

(3) جريدة الرياض: ذكرتني الماضي، 12 أبريل 1441ه/2019م، على موقع واي باك مشين.

(4) المدني: عبدالله ، امرأة بألف رجل، البحرين،1442هـ/2020م.